سر تكرار الصلاة

إن تكرار الصلاة اليومية على الشكل المعروف في الإسلام وجعلها خمس مرات في اليوم، ينكشف لنا سر تكرارها للأمور التالية:

1 - تطهيراً للآثام وتكفيراً للذنوب.

2 - مجلبة للراحة ومدعاة لطرد الهموم والأحزان.

3 - غذاءً روحياً للإنسان.

4 - توثيقاً للعقد (العهد) بين الله والإنسان.

١ - تطهيراً للآثام وتكفيراً للذنوب:

إن الإنسان في هذا الوجود معرض للخطأ، وهو غير معصوم من الزلل، فلابد من صدور الذنب معه، وتلبسه بالجريمة. ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة المحمدية أن فتح للمذنبين باباً في الدنيا لمحو السيئات، ولا شك أن الصلاة هي من أعظم الحسنات في الإسلام التي تقوم بعملية محو السيئات من صفحة أعمال المرء

في الحياة الدنيا لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1]. ويؤيد هذا المعنى الأحاديث النبوية الشريفة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟**» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «**فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهنّ الخطايا**»[2].

- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملكاً ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها**»[3].

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الصبح غسلتها، ثم تحترقون تحترقون، فإذا صليتم الظهر**

---

(1) سورة هود، الآية: 114.

(2) رواه البخاري ومسلم والترمذي، والنسائي، ورواه ابن ماجه من حديث عثمان رضي الله عنه.

(3) رواه الطبراني في الأوسط والصغير.

غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا»[1].

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارةٌ لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائر»**[2].

ومن المعلوم أن المقصود من محو الذنوب في هذه الأحاديث هي الذنوب الصغيرة، أما الكبائر فتكفرها التوبة - عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إني عالجتُ امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها من دون أن أمسها، وأنا هذا فاقض فيَّ ما شئت. فقال له عمر: لقد سترك الله، لو سترت على نفسك، فلم يردّ عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فانطلق الرجل فأتبعه رسول الله ﷺ رجلاً فدعاه، فتلا عليه هذه الآية التي نزلت فيه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ

(1) رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن، ورواه في الكبير موقوفاً عليه.

(2) رواه مسلم، والترمذي، وغيرهما.

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1]. فقال له رجل من القوم: هذا له خاصة؟ قال: «**لا بل للناس كافة**»[2].

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه (العبادة في الإسلام): «إن تكرار الصلاة خمس مرات في اليوم لتكون حماماً روحياً للمسلم يتطهر بها من غفلات قلبه، وأدران خطاياه، لأن الإنسان لابد أن يقع في الأخطاء يومياً، وليس العيب أن يخطئ الإنسان فكل بني آدم خطاء ولكن العيب أن يتمادى في الخطأ، ويستمر في الانحدار حتى يصير كالأنعام أو أضل سبيلاً. وفي الصلوات الخمس اليومية فرصة يثوب فيها المخطئ إلى رشده، ويفيق المغرور من سباته، ويرجع الإنسان إلى ربه ويطفئ هذا السعار المادي الذي أججته المطامع والشهوات، ونسيان الله والدار الآخرة». انتهى.

٢ - مجلبة للراحة ومدعاة لطرد الهموم والأحزان:

كثيراً ما يلاقي الإنسان في هذه الحياة من أحزان، وآلام، وقلق، وضيق صدر وخيبة أمل. وبعض الناس

---

(1) سورة هود، الآية: 114.

(2) رواه الترمذي وقال: حديث صحيح. القرطبي 9/ 111.

يحاول التخلص من هذه العوامل النفسية، أو بالأحرى التهرب منها بشرب الخمور وتعاطي المخدرات، في حين أن تعاطيها لا يفيد شيئاً، بل تتضاعف آلامه وأحزانه، وفي هذه الحالة يكون كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، بالإضافة إلى إضاعة صحته وتبديد أمواله؛ غير أنه لا يلبث أن يرجع إلى واقعه ويزداد ألماً وحسرة على تلك الأعمال الشيطانية التي لا تجدي نفعاً.

في حين أن الصلاة مجلبة للراحة النفسية، ومدعاة لطرد الهم، وقاضية للحاجات. لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1]. أي استعينوا على قضاء الحاجات وطرد الأحزان بالثبات والمداومة على الصلاة، لأن الصلاة هي لغة الدعاء وتتيح للمرء أن يسأل بارئه كل ما يريد ويشكو إليه بثه وحزنه، ويستفتح باب رحمته؛ فالدعاء هو علاج نفساني يخفف من آلامها وأحزانها، بسبب ركونها إلى خالقها الذي يستجيب دعاءها ويخفف من بأسائها، فإذا قام المرء إلى الصلاة زالت همومه وأحزانه وانشرح صدره ووجد فيها الراحة النفسية. وكيف لا ينشرح صدره بالصلاة، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ

(1) سورة البقرة، الآية: 153.

بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1].

والمعنى إنا لنعلم يا محمد ما يصيبك من ضيق في صدرك من جراء ما يقولون من ألفاظ الشرك والاستهزاء والإيذاء، فإن أصابك ذلك الضيق فافزع إلى الله تعالى وكن من الساجدين والتزم عبادته حتى يأتيك الموت. وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر ألمَّ به فزع إلى الصلاة: روى أحمد وأبو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**إذا حزَّ به أمر فزع إلى الصلاة**» وإذا كان في المسجد وهو على أهبة الصلاة، قال لمؤذنه بلال الحبشي: «**أرحنا بها يا بلال**».

وفي هذا المعنى يقول العالم الإنكليزي (شكسبير): «راحة الروح بقلة الآثام، وراحة القلب بقلة الأوهام، وراحة اللسان بقلة الكلام، وراحة الجسم بقلة الطعام».

والصلاة هي الدعوة الصارخة بترك الآثام والأوهام لأجل راحة القلب.

قال بعضهم: الحيوان يشبع، والظمآن يروى، وعباد الله الصالحون لا يشبعون من الصلاة. والصلاة تريح القلب وتزيل الهموم والأحزان.

---

(1) سورة الحجر، الآيات: 97 - 99.

٣ - غذاء روحياً للإنسان:

الإنسان مؤلف من جسم وروح، والروح هي المعول عليها في الآخرة فهي التي تسعد الجسم أو تهلكه؛ نسأل الله العافية. فالروح إذا تحلت بالفضائل وتخلت عن الرذائل دخلت الجنة، ولذلك فإن مهمتنا في هذه الحياة الدنيا ترقية الروح من يوم إلى يوم، حتى نخرج من هذه الدنيا والروح قد تحلت بالفضائل وتخلت عن جميع الرذائل من غل، وحسد، وبغض، ورياء، وغضب، وشحناء، واعتداء على الغير وهكذا.

فالروح تمرض كما يمرض الجسم، والجسم يمرض بسبب دخول الجراثيم الفتاكة إلى الجسم، في حين أن الروح تمرض بدخول جراثيم وحمى المعاصي والآثام إلى الروح.

والروح تتغذى كما يتغذى الجسم، أما الجسم فغذاؤه الطعام والشراب، وأما الروح فغذاؤها العلم والطاعات.. وقد وجد مع الإنسان قوتان: قوة الخير وقوة الشر، كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]. وجعل الله بين القوتين

(1) سورة الشمس، الآيتان: 7، 8.

صراعاً ونزاعاً لأجل امتحان البشر، بأن يدخلوا الجنة أو النار إزاء عمل يعملونه في دار الحياة الدنيا، إن خيراً فخير أو شراً فشر. وجاء الدين ليحذر الإنسان من الاسترسال مع الشهوة وتلبية دعوة النفس الشريرة.

قال رسول الله ﷺ لأصحابه عندما رجع من إحدى غزواته: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**». فقيل: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال: «**هو جهاد النفس**». (أي الصبر على مواظبة الصلاة والأعمال الصالحة، واجتناب المعاصي).

وهذا الكائن الروحي الذي يعيش بين جوانح الإنسان لا يكفي لتغذيته علم العلماء، ولا أدب الأدباء، ولا فلسفة المتفلسفين، ولا يغذيه إلا معرفة الله وحسن الصلة به، وهذه الصلوات الخمس هي وجبات الغذاء اليومي للروح، كما أن للمعدة وجباتها اليومية. ولهذا السر شرع تكرار الصلاة مرات مختلفة في اليوم، لتضعف بذلك قوة الشر وتنكسر شهوتها؛ ولعل من هذا المعنى أخذ اسم (المحراب) للمكان المصلى، حيث يحارب المصلي الهوى، والنفس، والشيطان، والدنيا.

فالصلاة الحقيقية التي يريدها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية نفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا.

وفي عصرنا الحديث نرى من علماء الكون والحياة طبيباً شهيراً هو الدكتور (ألكسيس كاريل) يبين لنا في بحث له مدى هذه القوة التي يكتسبها المؤمن في الصلاة فيقول: «لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً تدخلت الصلاة فبرأتهم من عللهم؛ إن الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للإشعاع، ومولد ذاتي للنشاط؛ وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود، حين يُخَاطبون القوة التي لا يفنى نشاطها.

إننا نربط أنفسنا حين نصلي بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون، ونسألها ضارعين أن تمنحنا قبساً منها نستعين به على معاناة الحياة، بل إن الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا، ولن تجد أحداً ضرع إلى الله تعالى مرة إلا عادت عليه الضراعة بأحسن النتائج».

هذا القول للطبيب المذكور من كتاب [دع القلق] (لديل كارنيجي). هذه الصلاة عموماً، فكيف بصلاة الإسلام.

٤ - توثيقاً للعقد بين الله والإنسان:

يقول (عباس السبلاني) في كتابه [روح الإسلام]: «لا ريب في أن الصلاة بين الله والإنسان، وإذا تأملنا الفاتحة نجد فيها شرط هذا العقد المتبادل، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بالعبادة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ونحن نطلب من الله سبحانه وتعالى الهداية والسلوك على الطريق المستقيم. وعلى ضوء هذه الملاحظة ينكشف لنا سر تكرار الصلاة اليومية على الشكل المعروف في الإسلام وجعلها ليلية ونهارية وهذا السر هو تجديد العقد وتوكيده حتى لا تضعف فعاليته، وحتى لا تمر ساعات فتور واسترخاء يخل فيها بأحكام العقد فيظل بذلك طرفاً في عقد جديد.

obeikandl.com